

الأمثال في القرآن الكريم

(199) الحياة والموت يتكرر على طول السنة ويشاهده الإنسان بأُمر عينه، دون أن يعتبر بها، فهذا ما صيغ لاجله التمثيل. يقول سبحانه: (وَاصْرَفْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) على وجه يلتف بعضه ببعض، يروق الإنسان منظره، فلم يزل على تلك الحال إلى أن ينتقل إلى حالة لا نجد فيها غصاة، وهذا ما يعبر عنه القرآن، بقوله: (فَأَصْبَحْ هَشِيمًا) أي كثيرًا مفتتًا تذوره الرياح فتنقله من موضعه إلى موضع، فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات (وكان الإنسان على كل شيء مقتدرًا). ثم إنَّه سبحانه يشبِّه المال والبنين بالورود والأزهار التي تظهر على النباتات ووجه الشبه هو طرؤ الزوال بسرعة عليها، فهكذا الأموال والبنون. وإنَّما هي زينة للحياة الدنيا، فإذا كان الأصل موقتًا زائلًا، فما طنَّك بزینته، فلم يكتب الخلود لشيء مما يرجع إلى الدنيا، فالاعتماد على الأمور الزائلة ليس أمرًا صحيحًا عقلائيًا، قال سبحانه: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). نعم، الخلود للأعمال الصالحة بمالها من نتائج باهرة في الحياة الآخروية، قال سبحانه: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا). (1) ثم إنَّه سبحانه يؤكد على زوال الدنيا وعدم دوامها من خلال ضرب أمثلة، فقد جاء روح هذا التمثيل في سورة يونس الماضية. (2)

_____ 1 - مريم: 76. 2 - انظر التمثيل الرابع عشر وسورة يونس 25، كما يأتي مضمونها عند ذكر التمثيل الوارد في سورة الحديد، الآية 20.